

رواية

خلف جدار الدم

الكاتبة

هبة الله احمد الطواب



خلف جدار الجمجمة

رواية

تأليف: هبة الله أحمد الطواب

دير الزور - سوريا

تاريخ الفراغ منها: 12 تشرين الأول 2026 م

الإهداء

إلى كلِّ مَنْ همسَ له قلبُه، فمضى يفتحُ مغاليقَ هذا الكتابِ..
إلى القلوبِ النابضةِ باليقينِ، تلكَ التي لا تزالُ مؤمنةً باللهِ في أحلكِ
الظروفِ..

إلى كلِّ مَنْ خاضَ حرباً، وجاهدَ بصدقٍ في سبيلِ أحلامِهِ..
إلى كلِّ مَنْ آمنَ بنفسِهِ حينَ عزَّ المعينُ ..فصمَدَ ووصلَ.
كُلُّ خطوةٍ تخطوها نحوَ حُلْمِك ..هي انتِصَارٌ.

الأحلام هي نافذة مُشرعة على المُستقبل؛ فاجعلها مشروعا الأسمى.
لا تدع أحلامك أسيرة في عتمة عقلك، ولا تبخ بها لكل من هبّ
ودبّ، بل احلم بما شئت، ثم سِرْ وواصل مسيرتك، وإياك
إياك والتخلي أو الاستسلام.

من يعلم ماذا يخبئ الغد؟!
جميع الكتب والشاشات امتلأت بسطور حزينه،
وأشياء مُتعبة.. لماذا؟

هل لأنهم اختاروا ذلك المصير؟
أم لأنهم أحبوا العيش في جلباب الضياع؟!
وما الأشياء الحزينه إلا من اختيار الإنسان لنفسه وللإنسان
التعب، والارهاق، والغضب، والفشل..
كل شيء يجرّك نحو دوامة لا تُطاق!

نعم.. هو اختيارك؛ فكم أحببنا أشياء وكانت خاطئة!
وكم تمسكنا بشراع أحدهم، فكان هو أول من هدم أحلامنا بيده!
ماذا ينبغي أن أقول لنفسي أولاً كي أبقى متمسكة بأحلامي؟!
ولماذا يُصاب أحدهم بالحيرة؟ لماذا؟!
وكيف لي أن أحرّر أحلامي من معتقل عقلي الباطن.. وأنا الأسيرة؟!

عقلك هو مكتبة أحلامك؛ كل الأشياء التي تتخيلها
وتحلم بها ستحدث يوماً، فقد أثبت العلم، ومنه علم
النفس البريطاني، أن كل ما تتخيله سيقع. وهنا

أقول: إن الأشياء جميعها أنت من تحددها، وترسم
وجهتها، وتختار الطريق الذي ستسلكه.
جميع المواقف تعتمد على طريقة تفكيرك وتأملك الخاص؛
فهناك أشياء تزيدك نجاحاً فوق نجاحك.

لا تستمع لكلام أحد مهما كان قريباً منك؛ دع عقلك
ومن ثم قلبك يحددان الأشياء التي تريدها، وبماذا تحلم.
لا تجعل أي شيء يسيطر عليك، إياك إياك فاحذر!

فالأشخاص التافهون هم الذين يقولون: "إن الأحلام لن تتحقق"، فعذراً..

ليس الخلل بخلمك، ولا بالمحيط بك، بل بك أنت!
أنت من خشيت أن تكون فاشلاً، فصنعت مقولات الفشل
لثواسي بها نفسك. إن من جعل الأحلام مستحيلة هو من سمع
لصوت الفشل الذي يقبع بداخله.

أنت من خترت طريق الإخفاق، وأدعيت بأنه مليء بالأشواك
والحفر، وأكثر من ترداد مقولات العجز، حتى أقنعت عقلك
الباطن بأنك لا تستطيع.

الشَّخْصُ الْفَاشِلُ لَيْسَ مَنْ يُؤَجِّلُ عَمَلَ الْيَوْمِ إِلَى الْغَدِ، بَلْ هُوَ ذَلِكَ
الَّذِي يَحْلُمُ دُونَ سَعْيٍ، وَيَتَمَنَّى دُونَ جُهْدٍ، وَدُونَ أَيِّ مُعَانَةٍ.

كَيْفَ يَأْتِي النَّجَاحُ لِمِثْلِ هَؤُلَاءِ الْأَشْخَاصِ؟!
لَنْ يَأْتِيَ النَّجَاحُ وَاحِدًا تَلَوَّ الْأَخْرَ بِكُلِّ رَاحَةٍ، وَلَنْ يَنَالَهُ مَنْ يَكْتَفِي
بِالْأَوْهَامِ دُونَ سَعْيٍ حَقِيقِيٍّ.

جَمِيعُنَا نُدْرِكُ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي نُحِبُّهَا لَنْ تَأْتِيَ بِمُفْرَدِهَا؛ سَيَأْتِي
مَعَهَا عَوَاصِفُ وَخَيْبَاتٌ، وَشُعُورٌ بِالْأَلَمِ، وَسَيَكُونُ طَرِيقُ الْوَصُولِ
إِلَيْهَا أَشْبَهَ بَغَابَةِ مُظْلِمَةٍ.. نَعَمْ، جَمِيعُنَا نُدْرِكُ ذَلِكَ تَمَامًا.
لَكِنَّ شُعُورَ الْكِفَاحِ وَالسَّعْيِ نَحْوَ الْقِمَّةِ لَنْ يَشْعُرَ بِهِ إِلَّا مَنْ خَاضَ
الْمَعْرَكَةَ بِنَفْسِهِ.. وَوَصَلَ.

لَا تَسْتَمِعْ لِأَحَدٍ، فَالْجَمِيعُ يَدَّعِي بَأَنَّهُ يُرِيدُ لَكَ الْخَيْرَ، وَيَتَشَدَّقُونَ

بِقَوْلٍ: "مِنْ أَجْلِكَ أَتَكَلَّمُ"..

دَعُهُمْ وَشَأْنُهُمْ، وَقُمْ لِأَجْلِ نَفْسِكَ؛ فَلَا أَحَدَ يَدُومُ لِأَحَدٍ، حَتَّى
وَالِدَاكَ لَنْ يَدُومُوا لَكَ أَبَدًا

وَفُكَّ كُلِّ الْقِيُودِ، وَاقْطَعَ كُلَّ السَّلَاسِلِ، وَسِرَّ لِتُكْمَلَ طَرِيقُكَ بِكُلِّ إِرَادَةٍ،
وَبِكُلِّ جُهْدٍ وَحِمَاسٍ وَأَمَلٍ.. دَعَاكَ مِنْهُمْ أَرْجُوكَ، وَلَا تَلْتَفِتْ.
تَقُولُ إِحْدَاهُنَّ قَسَمًا مُغْلَظًا بِأَنَّ كُلَّ مَنْ شَتَمَهَا، أَوْ شَكَّكَ فِي قُدْرَاتِهَا، أَوْ
حَبَطَ مَعْنَوِيَّاتِهَا، هُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ إِلَيْهَا! تَقُولُ بِنَبْرَةٍ يَمْلُؤُهَا الْأَسَى:

"والدائي لم يُشجّعاني يوماً على فعلِ أيِّ شيءٍ، وكلما أتممتُ إنجازاً، لا
يُباركانه لي، ولا حتّى ينظران إليّ بسعادةٍ.. وكأنّني لم أُخْلَقْ مِنْهُمَا
أبداً!"

ما الذي جعلَ تلكَ الفتاةَ تشعُرُ بكلِّ هذا الخُذلانِ؟ وهل يجروُ أحدٌ على
قَوْلِ قِصَّتِهَا الْحَقِيقِيَّةِ بِتَفَاصِيلِهَا الْمُؤَكَّدَةِ؟!

وَإِذْ هِيَ تَرَوِي قِصَّتَهَا، كَانَتْ دُمُوعُهَا الْحَارِقَةُ قَدْ بَلَلَتْ ثِيَابَهَا، بَيْنَمَا
كَانَتْ رَافِضَةً تَمَاماً أَنْ تَذَكَرَ اسْمَهَا أَوْ تَكْشِفَ عَنْ هُوِيَّتِهَا إِطْلَاقاً

تَقُول: مِنْ كَثْرَةِ الضَّغُوطِ وَالْأَلَمِ وَالْمَعِيشَةِ السَّيِّئَةِ الَّتِي
كُنْتُ أَعِيشُهَا، وَالْمَعَامَلَةَ الطَّاعِيَةَ الَّتِي لَا أَقْوَى عَلَى
تَحْمَلِهَا، وَعَدَمَ ثِقَتِي بِأَحَدٍ إِطْلَاقاً بَعْدَ الْخِيْبَةِ؛ أَصْبَحْتُ
أُبْعَثُ الْكَلَامَ فِي أَحَدِ الصَّفَحَاتِ. وَمَضَى عَامٌ عَلَى هَذَا الْحَالِ
إِلَى أَنْ جَاءَ الْيَوْمَ الَّذِي أَصْبَحْتُ أَكْتُبُ فِيهِ أَشْعَاراً،
وخاصة الأشعار العراقية..

أَوَّلَ شِعْرِ قُمْتُ بِكَتَابَتِهِ كَانَ شِعْراً عَنِ الْجَدِّ، لَمْ يَمْضِ سِوَى
شَهْرَانِ عَلَى وَفَاتِهِ رَحِمَهُ اللَّهُ..

لَمْ أَخْبِرْ أَحَدًا بِذَلِكَ، لَكِنِّي حِينَ تَمَكَّنْتُ مِنْ كِتَابَةِ الْأَشْعَارِ
بِطَلَاقَةٍ مَحْدُودَةٍ، أَخْبَرْتُ أُمِّي بِأَنِّي كَتَبْتُ لَهَا شِعْراً، وَأَنَا أَقْرَأُ
أَمَامَهَا عَلَى أَمَلٍ أَنْ يَنَالَ إعْجَابُهَا..

لَمْ تَنْتَبِهْ لِمَا أَقُولُهُ لَهَا، وَلَا حَتَّى دَارَتْ مَشَاعِرِي؛ كَانَتْ غَيْرَ مُهْتَمَّةٍ بِي،
وَلَا بِأَحْرَفِي الَّتِي شَبَّكْتُهَا مِنْ أَجْلِهَا..

بَلْ اسْتَهْزَأَتْ بِي وَقَالَتْ: "أَنْتِ حَقّاً تَدَّعِينَ بِأَنَّكَ شَاعِرَةٌ؟!"

.. تَرِيدُ دِرَاسَةَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَمْ يُصْبِحُوا حَتَّى تُصْبِحِي أَنْتِ!..

لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ حَدْثٍ، لَا بَلْ كَانَ أَشْبَهَ بِنَارِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ..

مِنْ شِدَّةِ قَسْوَةِ الْكَلَامِ وَخِيْبَتِي.. مَاذَا تَفْعَلُ

لَوْ أَنَّكَ تَعَرَّضْتَ لِتِلْكَ الْمَوَاقِفِ؟ مَاذَا؟ قُلْ لِي مَاذَا؟!

إِنْ كَانَ الْقَائِلُ وَالِدَتَكَ فَمَاذَا سَتَفْعَلُ؟! دَعْنِي أَتَحَدَّثُ عَنْ كَسْرِ الْخَاطِرِ
وَحَدَشِ الْقَلْبِ وَالْدُمُوعِ..

تَقُولُ: لَمْ أُجِبْ بِأَيِّ شَيْءٍ، فَقَطَّ مَشِيئَتُ بِاتِّجَاهِ غُرْفَتِي وَاحْتَضَنْتُ
دَفْطَرِي الْمَمْرُوقَ وَبَكَيْتُ. ثُمَّ بَكَيْتُ، ثُمَّ اتَّجَهْتُ إِلَى مَنْ أَقُولُ لَهُ كُلَّ شَيْءٍ،
إِلَى مَنْ كَانَ لِي أَيْ سَنْدٍ، إِلَى مَنْ رَحِمَ ضَعْفِي، إِلَى مَنْ جَبَرَ خَاطِرِي،

إِلَى مَنْ رَحِمَ ضَعْفِي إِلَى مَنْ اصْطَفَانِي مِنْ بَيْنِ الْعَالَمِينَ..
أَنْتَ يَا اللَّهِ وَحْدَكَ تَعْلَمُ مَا فِي قَلْبِي، تَعْلَمُ ضَعْفِي وَحَزَنِي وَأَلْمِي

وَوَجْعِي، تَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ، فَسَلِّمْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ..
فَلَمْ يَتْرَكْنِي اللَّهُ، تَوَلَّانِي وَجَبَرَنِي رَغْمَ ضَعْفِي وَمَعَانَاتِي.. لَمْ تَكُنْ أُمِّي
عَدُوَّةً لِي أَبَدًا؛ قُلْتُ لِنَفْسِي رُبَّمَا فِي سَاعَةِ غَضَبٍ تَفَوَّهْتُ بِذَلِكَ.

لَكِنَّ اللَّهَ تَوْلَانِي.. اسْتَطَعْتُ أَنْ أَكْتُبَ قِصَّةً وَمِنْ ثَمَّ تَطَوَّرَتْ كِتَابَاتِي،
وَأَصْبَحْتُ أَكْتُبُ رَوَايَاتٍ، وَالْآنَ بَعْدَ سَنَةٍ اسْتَطَعْتُ أَنْ أَكْتُبَ سِتَّ
رَوَايَاتٍ..

ثُمَّ إِنِّي شَارَكْتُ بِمَسَابَقَةِ الْقِصَّةِ الْقَصِيرَةِ، وَأَخَذْتُ الْمَرْكَزَ الْأَوَّلَ
بِفَضْلِ اللَّهِ. حِينَهَا أَيْقَنْتُ وَوَالِدَتِي بِأَنِّي حَقًّا أَسْتَطِيعُ..

لَكِنَّ مَسِيرَتِي لَمْ تَكُنْ بِتِلْكَ السَّهُولَةِ؛ عَانَيْتُ وَاسْتَهْزَأَ بِي الْجَمِيعُ،
لَكِنِّي أَكْمَلْتُ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ تَطَوَّرْتُ وَسَاقِلْتُ مَسِيرَتِي إِلَى أَنْ أَصِلَ،
° ° °

وَأَقِفْ عِنْدَ آخِرِ خُطْوَةٍ أَخْطُوهَا، حِينَهَا سَأَقُولُ أَشْيَاءَ لَمْ يَقْلَهَا أَحَدٌ..
مَا فَعَلْتُهُ وَجَعَلَنِي أَصْلَ هُوَ أَنِّي ادَّعَيْتُ بِأَنِّي لَمْ أَسْمَعْ كَلَامَ كُلِّ
الْمُتَحَدِّثِينَ وَالْمُحِبِّينَ..

حَتَّى إِنِّي وَصَلْتُ لِمَرْحَلَةٍ لَا أُرِيدُ مِنْ أَحَدٍ أَيَّ شَيْءٍ؛ لَا تَشْجِيعَ وَلَا
دَعْمَ وَلَا أَيَّ شَيْءٍ أَبَدًا.. تَجَرَّدْتُ مِنَ الشُّعُورِ تَمَامًا.. لَا أَشْعُرُ، وَلَا
أَتَكَلَّمُ، وَلَا أَسْتَمِعُ لِكَلَامِ أَحَدٍ.. أَفْعَلُ مَا أَشْعُرُ بِهِ فَقَطْ..

أنا لا أشعر من أجل أن لا أفشل، فالحساسية الكثيرة تجعلك ذو قلب رقيق، وربما ضعيف أيضاً..

أنا التجارب علمتني، أنا الصعوبات جعلتني أحمل مسؤولية نفسي، تلك التي كُسرت وأخفت كسرهما لكي تنام، وهي تبكي لكي تنعت نفسها تحت مقولة: "لا شيء يؤثر بي"..
وهي الكلمة التي تجعل معركة بداخلها.. لا شيء يمضي كما تريده أن يمضي، لكن حاول..
فالضمد لجرح الأمس هو نجاح الغد.. ثق بذلك دائماً.

....

وعن تلك الأشياء ماذا؟! ماذا أفعل؟! هناك أشياء تجعلني أفقد طاقتي وقواي وشغفي بمجرد ذكرها.. ماذا أفعل من أجل التخلص منها؟! ماذا؟!

لا أستطيع فعل شيء سوى التجاهل، حتى إنني أجبر نفسي على ذلك.. لا أعلم ما الذي حدث وجعلني أصل لمرحلة من التجاهل والعزلة واللامبالاة.. لماذا أصبحت بهذه الصفات؟! لماذا؟! كُنْتُ حُرَّة طليقة، لا شيء يثيرني، كغيمة لا شيء يثير برقي..

الجميع يقول: "كُنْتُ"، لكنني أنا عُدْتُ، تكلمتُ دون أي كلام، دون إدراك..

عُدْتُ لتلك الأشياء، عُدْتُ لتلك الأماكن، وجلستُ دون أي كلام.. أتأمل بتلك الأماكن في كُلِّ زاوية من زوايا البيت؛ لي قصة وحكاية. بدأ عقلي باسترجاع كُلِّ ما حدث في الطفولة، وبدت المشاهد تترسم أمامي.. لا أعلم لماذا وكيف، لكن هذا ما حدث باختصار..

بالرَّغْم من أنَّ البيت ليس على ما يرام، لكن كان ذلك
البيت نجاة، بل بمثابة أمل في حياتي الماضية؛
كان ذلك البيت مصدر أمل.

كان نجاتي من ذلك الظلم والأسى الذي عَشْنُهُ؛ كُنْتُ
حين أدخل إلى ذلك البيت أشعر بالراحة، أشعر بالطمأنينة،
أشعر بالارتياح في كُلِّ شيء..
لكن الآن أشعر وكأنه أشبه بسجن.. إنه سجن الذكريات..
وكم هي مؤلمة!

أَنْ تغادر مكاناً لا تبكي عليه، تبكي على أهله، ثم يرحل أهله
ويبقى البيت خالياً.. حتى وإن كان هناك أحد من أهله، سيكون
هناك مجالس فارغة لأن أهلها قد رحلوا..
إلى أَنْ الديار لا ترحل لكن أهلها يرحلون.. تبقى
الديار لكن يرحل من فيها..

أحاول التماس ذلك بقلبي وعقلي، لكن قلبي متعلق
بالماضي، وعقلي يرفض تصديق ذلك.. وبقيت نفسي الحائرة الجائعة للراحة..
قد رحل كُلُّ شيء، وبقيتُ أترجع لتلك الأيام، وأتعطش إلى الراحة والسلام..

أحاول اعتصار السلام لكنني أغرق بالأوهام مرات.. مراراً وتكراراً..
في تلك المجيء افتقدتُ أحداً.. افتقدتُ مَنْ كان لسانه يقطر عسلاً..
افتقدتُهُ قَسَماً..

لَمْ أُنْسَ، لَنْ أتناوز وَلَنْ أرتاح وَلَنْ أعيش بسلام.. أَوَّل نظرة، أَوَّل
حرقه وحسرة وألم؛ بكيتُ لا أنكر ذلك لكنني لَمْ أبكِ بدموع، بكيتُ دماً!
لَمْ تبكِ عيني بكى قلبي.. وبكاء القلب أشدَّ وجعاً من بكاء العين..
لكنني أغمضتُ عيني كي لا تفيض فأمطرت، ثم استدرتُ لكي لا أحد
يراني.. فَرَدَّاني مَنْ لا يخفى عنه شيء، ثم استمدّني بقوة.. بَعْد الحسرة،
ثم إنِّي كابرْتُ كي لا أكتشف..

نُتحدّث عن الصَّعب والأصعب، والحياة بكُلِّ ما فيها صعوبة. نحن
البشر بطبيعتنا الهروب، دائماً تجدنا نهرب من الواقع الحزين

والمؤلم، لكن تذكر أنك مهما هربت ومهما ذهبت أنت وأحلامك،
ستعود لواقعك المرير..

ستعود حتماً، لا تهرب من ذلك الواقع، بل حاول مواجهته، حاول
مصارعته، حاول أن تتقدّم وليس تهرب.. كيف لإنسانٍ قويٍّ أن
يهرب؟ كيف؟!

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان لا يملك شيئاً من الطعام
والشراب لمقاومة الصعاب، ولا يملك أسلحة لمواجهة الأعداء.. لكنه
استطاع أن يواجه بأمانته، ومن ثم شجاعته؛ استطاع أن يهدي ملياراً

من البشر..

استطاع.. بإصراره، بأمانته، بقوّته، وثقته بنفسه.. اجتمعت كلّ
صفات القوّة وحين إذ انتصر..

نُتحدّث عن الصَّعب والأصعب، والحياة بكُلِّ ما فيها صعوبةٍ. نحن
البشر بطبيعتنا الهروب، دائماً تجدنا نهرب من الواقع الحزين

والمؤلم، لكن تذكر أنك مهما هربت ومهما ذهبت أنت وأحلامك،
ستعود لواقعك المرير..

ستعود حتماً، لا تهرب من ذلك الواقع، بل حاول مواجهته، حاول
مصارعته، حاول أن تتقدّم وليس تهرب.. كيف لإنسانٍ قويٍّ أن
يهرب؟ كيف؟!

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم، كان لا يملك شيئاً من الطعام
والشراب لمقاومة الصعاب، ولا يملك أسلحة لمواجهة الأعداء.. لكنه
استطاع أن يواجه بأمانته، ومن ثم شجاعته؛ استطاع أن يهدي ملياراً

من البشر..

استطاع.. بإصراره، بأمانته، بقوّته، وثقته بنفسه.. اجتمعت كلّ
صفات القوّة وحين إذ انتصر..

قد يجتمع الحلم والواقع، لكن بكتاب؛
واقع مرير وحلم وردي.. فكيف اللقاء حين يجتمع النار والماء
سويًا؟!

تخيل أنك اجتمعت بحلمك وأنت بواقع مرير، سأوضح ذلك.. ذات
يوم،

كنت جالسة وقد فاق الملل حده، فنظرت إلى أحد المكاتب المنزلية،
وإذ بكتاب لفت انتباهي بكلمة،

كلمة واحدة فقط وهي: (تخيل)، تخيل أنك تتخيل!
وتخيلت من قال: إني لن أتخيل حين رأيت ذلك.."

أعشق الخيال وكل المرافئ التي يأخذني إليها؛ فهو الجسر الوحيد
الذي يعبر بي نحو ضفاف السلام والسكينة.

كم يبدو الأمر ساحراً حين تتلاشى من عالم حزين بائس، لتستيقظ في
غمرة عالم يفيض بالجمال.. عالم الخيال! دائماً، وكلما تشوه وجه الواقع
من حولي، كنت ألوذ بوسادتي، أحتضنها بقوة، ثم أغمض جفوني
لأهرب عميقاً إلى دنيتي الخاصة.. هناك حيث أمضي إلى أحلامي،
وأَتغلغل في تفاصيلها الدقيقة، باحثة عن كل ما هو جميل. إن أحلامي
ليست مجرد أوهام عابرة، بل هي رمز السلام الحقيقي.. وما السلام إلا
الله.."

لست خائفة من الواقع، لكنني كئيبة منه.. كآبة مفرطة تبلغ بي ذلك الحد الذي يرمي بي في قاع الانهيار، والدمار، والخيبة. إنه يأس لا يتملكوني من الواقع فحسب، بل يمتد ليعصف بثقتي في أشخاصه أيضاً. فلا أحد يحب أحداً لنفسه بل لأجل غاية، ولا أحد يتفقد أحداً إلا لعلّة، ولا أحد يفقد غائباً مهما طال غيابه.. أفتظن حقاً أن أولئك الذين يحيطون بك سيبكون لأجلك، أو يرتجفون خوفاً عليك حين تتألم؟! إنما يتحركون بدافع مصالحهم، فذات يوم -ويا ليت ذلك اليوم لم يشرق قط- قيل لي ما لا تطيقه نفس، أنا لا أنكر ما قيل، لكنني أجدني أفعل ما أرى الناس تفعله بي؛ يظلمونك، ويستنزفون طاقتك في خدمتهم طوال اليوم بلا أدنى مقابل، فإذا ما تجرأت وتكلمت، ألقوا باللوم عليك ووسموك بالخطأ، حتى وإن كنت تنطق بالحق الصرف، تظل في أعينهم مخطئاً! ثم يطبقون الحصار حولك قائلين: أنت صاحب المزاج الضيق، متناسين أنهم هم من صنعوا بك ذلك.. قسماً، لقد قال لي أحدهم ذات مرة: أنا لن أعيش، فليس هناك من سيحتويني غداً.. فما هذا القول المفرط في القسوة؟!"

يقولون بملء أفواههم: وأنت لا تستحق القول ولو كان حقاً! فعن أي حق وعن أي رحمة تتحدثون؟! إنه كلام قاسٍ وجارح، يصيبك بالبرود والوجوم، ويجعلك تشعر في أعماقك وكأنك شخص سيء. لماذا يتدفق هذا الكلام الجارح لحد لا أستطيع تحديده أو فهمه؟! أنتم لستم قادرين على إصلاح أنفسكم أولاً، فإذا لماذا تتحدثون وتلقون بالأحكام؟! لا تكونوا جارحين لدرجة مؤذية؛ فأنا أمتلك القوة لأرد كل ما تعرضت له، لكنني لست بخائفة من مواجهتكم، بل كل ما أخشاه هو أن ينام أحد وبقلبه جرح غائر بسببي، وأخشى أن يرفع مظلوم يديه في عتمة صلاته، ويدعو ويشكوني إلى الله! لكنني في النهاية وكلت من يشكى له؛ وكلت أمري، وضعفي، وشتاتي، وقلة حيلتي إليك يا الله، فتولني برحمتك، ورتب فوضى قلبي، وضمّد جرحي يا الله.. فما عدت أريد ثرثرة الكلام."

لم أعد أريد ثرثرة الكلام، ولا كثرة القيل والقال؛ لكنني بعثرت كل الكلمات التي تعتمر في صدري لأصف ما أشعر به.

لا أعلم إن كان هناك في هذا الوجود من يشعر بما أستشعره، لكنني تجرعت غصص كل الأشياء المؤلمة..

حتى وصلت أخيراً إلى مرحلة الاكتفاء، مرحلة اللامبالاة المطلقة؛ إلى تلك المرحلة الغامضة التي

لا أعلم كيف أصفها أو أفك شفراتها.. تذكرت حينها أن كل حلم عظيم يبدأ بفكرة صغيرة، فالعقل يلد الفكرة، و عليك أنت أن تمنحها الأمل لتبصر النور."

الأحلام، تلك الأحلام المتكررة.. كم هي جميلة لكنها في الوقت ذاته متعبة ومضنية! إن على كل من يعشق أحلامه ويؤمن بها أن يقتفي

أثرها ويسير خلفها دون توقف؛ نضل نتبعها خطوة تلو خطوة،

ونتعقب خيوطها الواهية. ولقد اتبعت أحلامي طويلا، لكنني تساءلت
بمرارة: هل كان كل ذلك بلا أدنى فائدة؟!

أتعلم ما الذي يدفعني للاستمرار والمقاومة؟

ليس مجرد وجود الأحلام في حد ذاته، بل شغفي العارم بها،
وإرادتي الصلبة، وهروبي من واقعي المزيف الحزين.

أنا أستمّر لأجل تلك اللحظة المرتقبة التي سأبكي فيها وأصرخ ملء
صوتي من شدة الفرح.. ليتني أمتلك حقاً القدرة على تحقيق أحلامي
ولو ليوم واحد!

لقد اخترت أن أكون كاتبة، ولا أعلم كيف زرع هذا الشغف في
أعماقي ثم نما وتفرّع، لكنه الآن بات على وشك الإثمار. بين عسى،
ويا ليت، وأتمنى، تظل روحي تتوق وتتمنى بحق..

إنني أستشعر تلك الأحلام، أتنفسها بعمق، بل إن قلبي ينبض
من أجلها.. نعم، هذا هو كل ما أشعر به."

إن أكثر سبب يجعلك تفشل رغم السعي، هو التحديث المستمر.. نعم، أن تبوح بأشياءك الخاصة للجميع، وتتكلم عن قصصك، ومغامراتك، وأن تتحدث عن خططك نحو المستقبل أو حتى عن تفاصيل خططك اليومية. لا تتكلم! لأن هذا الشيء هو الأساس لخوض معركتك وتوجيه وجهتك نحو أحلامك، فإياك أن تتكلم عن أشياءك الخاصة، إياك.. فرسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (استعينوا على إنجاح الحوائج بالكتمان).. ومع ذلك، تظل الأحلام هي المصدر الوحيد الذي يجعلني سعيدة رغم كل ما تلوث في هذا الواقع. لست ناكرة لواقعي، لكن ينبغي على كل شخص أن يجعل لنفسه نافذة في حياته، حين يتعبه الركض يتجه نحوها.. ويتأمل. إنها نافذة الأحلام؛ هي التي تأخذ بك نحو السماء، والطيور، والعصافير، والفراشات، وكل الأشياء الجميلة. كلما يئست فتحت تلك النافذة وحلقت باتجاه ما تأخذني إليه.. لقد سلمت نفسي للأحلام، فعسى أن أسعد."

إن كانت أحلامك تنتظرك بشغف، وإن كنت تتوق لرؤية نفسك ناجحاً في أفق الغد، فعليك بالكتمان؛ الكتمان الكتمان! اكتمها كما تكتم جرحك النازف بالمنديل قبل شفائه كي لا يلوح أثر وجعك أحد، واكتم سائر خطواتك وأعمالك لكي لا يمتد إليها حاسد أو عابث فيدمرها.

تذكر دائماً أن الأحلام هي وقود هذه الحياة الضارية، فلا تتوقف يوماً عن الحلم والتحليق.. فما هي غايتك الحقيقية في النهاية؟! "

ومن منا لم يمر بشتات؟

ذلك الشتات المتكرر الذي يمزق الروح.. كيف للإنسان أن يتشتت وهو يحاول جاهداً ترتيب نفسه؟!!

الشتات هو الضياع، والألم، والحسرة؛ بل هو اجتماع مشاعر غير مفهومة تتداخل مع الشعور بالضياع الجارف. يشعر الإنسان بالضياع حين لا يجد ترتيباً يتناسب مع أحلامه وواقعه سوياً، ليتساءل بمرارة: لماذا يصر الواقع على رفض أحلامنا؟! وليس الشتات شعوراً سهلاً مقاومته حين تشعر بالضياع وتخفي ذلك بادعائك أنك تعلم أين تسير، بينما الحقيقة مغايرة تماماً.. ليس فقط الظروف والمواقف هي من تعلمك، بل حتى الشتات يعلمك؛ فكيف تعيد ترتيب نفسك، وتصيغ ترتيب حياتك، وتستعيد ترتيب مشاعرك وأحلامك وكل ما يخص شأنك وذاتك؟ إن إعادة ترتيب كل شيء لا يتطلب جهداً طفيفاً، بل يحتاج إلى جلد.. لكن أن تعيد ترتيب نفسك، ربما ستجد في ذلك صعوبة نوعاً ما، وربما لا تستطيع النجاح منذ البداية، فأنت تحتاج لمحاولات عدة لتستطيع ترتيب نفسك من جديد ومن ثم تطويرها."

حاولت وما زلت أحاول إعادة ترتيب نفسي، لكنني لم أستطع بعد؛ فبقيت على حال واحد راكد. بقيت صامتة واخترت الصمت دوماً؛ لأنه الخيار المريح والأفضل لي، لكوني سريعة الغضب، ولكوني لا أملك الصبر الكافي على الغلط. كوني متعبة جعلني أتجرد من الراحة، كوني مهتمة.. قيل بأن الصمت حكمة وأنا لم أصمت لحكمة، بل لحكم قدر جارف. قيل إنني هادئة، لكنني غير ذلك؛ فأنا أحب الثرثرة والتميز بالكلام، لكن الصمت يظل الخيار الأكثر صحة وتميزاً.. كيف لقلب شاب أن يجرح، أن يخدش، أن يحزن؟ كيف لتلك المضغة التي ينبض حباً وحناناً وأماناً، لكن كل شيء تشوه به.. أنت، وأنتِ، وأنتم، ونحن؛ سنخدش حتماً، سنكسر، سننألم، سنبكي، وسنتعلم من كل ما يحدث من حولنا. إن الأحداث التي تجري ليست أحداثاً طبيعية، بل هي أحداث من عالم جهنمي، من عالم مليء بالخبث والنوايا السيئة.. ومن مسببات الشتات: الأحداث، والظروف، والصعاب."

"إن ظروفك لا تخص أحداً غيرك، فأنت وحدك من يعيشها،
ولا أحد يشاركك عبئها. لا داعي للمشتكى ولا للثرثرة
ولا حتى لمحاولة وصف الشعور؛ فمسيرتك أنت من ولدتها
وحده، وستموت وحده لا شريك لك فيها..إذا أكمل
لوحده، حارب وصارع وناقش من أجل ما تريد،
ومن أجل نفسك لا داعي للقلق، وما القلق إلا ذهاب النعاس .
أتعلم، أتدرك، أتدري؟ بأن كل الأشياء التي حدثت جعلت
مني شخصاً ثانياً، شخصاً لا يفهم، لا يتكلم، لا يخالط،
ولا يحب الصخب؛ هذا ما أصابني ..ليس ضعفاً بل من أجل
سلامتي، من أجل راحتي، ومن أجل الهدوء .
كن خصوصياً لدرجة تفوق الخيال؛ فالشتات، والحزن، والألم، والظروف،
والخذلان، والخيبة، والانكسار، والتضحية، والتعب ..
جميع ما أصابني جعلني إنسانة لا أشبه ذاتي القديمة .لا أعلم إن كنت أنا حقاً صاحبة هذه
الشخصية، وإن كنت أنا حقاً أستحق ذلك،
أو إن كنت حقاً يجب أن أتقمص تلك الشخصية ..لا أعلم .لكن كل ما حدث كان من المفترض
حدوثه، وتلك التغيرات يجب أن تكون
وتطرق الأبواب؛ وعلى كل من عانى وجب التغير،
ويجب أن تتلاشى الجروح، ويجب أن تعيش كما تحلم
أنت بعد كل هذا التغير، فأنت تغيرت من أجل أن تعيش كما تريد".

كل هذه التغيرات كانت من أجلك أنت؛ من أجل الأحلام، من أجل الشغف، ومن أجل الطموح العظيم.

لقد تغيرت أنا، والآن أنا مستعدة لمواجهة أحلامي،
مستعدة لخوض كل المعارك الشرسة.. أنا الآن لا أتصرف
بذكاء فحسب، بل أتصرف بخبرة وحكمة استمدتها من تجاربي،
وعلى أساس العطاء أعطي المتلقي..

كل الأشياء التي حدثت تركت في داخلي أثراً عميقاً وجرحاً
غائراً لا يمحي، ولا أنكر ذلك، لكنني أيضاً تعلمت في
مقابل الألم كأنني أنهل من بحر علم.. إن استماعك للانتقادات المستمرة،
والكلام الذي يبعثر الروح لا تستمع إليه؛ فقط اصمت، وانظر بحدودية إلى
من يتكلم ثم ابتسم ومن ثم تعمد التجاهل..

تجاهل كل ما يؤلم وأنت تشعر بالألم، أفتسأل كيف؟!
بعض العبارات والاقتباسات معناها غير منطقي،
فكيف للإنسان تجاهل ما يؤلمه وهو يستشعر مرارة الألم في عروقه؟!
لا تأخذ الاقتباس من كتاب فحسب، بل خذ من شعورك المبعثر،
من أيامك، وأحلامك، ومن إحساسك وشعورك النابع من ذاتك
ومن نفسك؛ خذ ولا تأخذ! ليس من الضروري أن تكتب اقتباساً أو تحفظه،
بل الضروري أن تأخذ عبرته، فمن يفعل عكس ذلك يكون الأمر أشبه بطفل
غير بالغ، يقرأ كتاباً ولا يدرك معناه، بينما هناك شخص واعٍ
يقول: أخذت العبرة من تلك السطور، وأنت أيضاً كذلك."

خذ العبرة ولا تأخذ الكتاب، ولا تغرك صفحاته الكثيرة الممتلئة، بل اقتباساته الواعية الطريفة. تذكر دائماً أن هناك أملاً رغباً عن اليأس الذي يأكل جدران قلبك، وهناك منفذ من الواقع؛ فرغم المرارة هناك ضوء، ورغم الظلام تذكر ذلك دوماً.

إن الشتات لن يبقى مؤبداً، فالشتات جاء ليجعلك قادراً على إعادة ترتيب ذاتك، فرتب ذاتك، وأحلامك، وشغفك،

ثم انطلق.. أتكلم عن الترتيب وأنا التي تتشتت بين الحين والآخر، فاجعلها محاولة؛ حاول، وجرب، وغامر،

ومن ثم ابدأ بجذ، فمن لم يفشل سيكون نجاحه أمراً عادياً، والغلط هو الوسيلة الوحيدة للنجاح بتفوق.

لا تدع الخوف يتسلط عليك ويولد لك أفكاراً سلبية؛

انتظر، انتظر، انتظر.. فوقتك هو لك بيدك أنت وحدك، أنت تستطيع صنع كل شيء، فقط قرر وحدد ومن ثم ثابر."

كل شيء في حياتك اجعله محاولة حتى آخر أنفاسك،
فنحن لا نعلم متى سنرحل إلى عالم البرزخ؛ لا نعلم،
فكل شيء محاولة، وأمر طبيعي إذ لم يحدث شيء مما
نريد، فتذكر دائماً أننا لم نأت إلى هذه الحياة بإرادتنا..
لم أبعث أحرفي وكلماتي من الخيال، بل أنا التي اخترت كتابة وتدوين الواقع بعيداً عن الأحلام.
الجميع تجاهل الواقع
من شدة مرارته، لكنني اخترت أن أكون أشد مرارة منه، وأعيشه بكل تفاصيله، بكل أوجاعه،
بكل أشكاله المختلفة؛
من عذاب، ودمار، وأوجاع، وتراكمات، وأشياء مزيفة. الواقع مرير، نعم مرير، مرير للحد
الذي يجعلك تلفظ أنفاسك..
مرير لحد الجنون، لحد الخوف، لحد الموت، مرير نعم إنه مرير! الحياة ليست عادلة بل هي
مؤلمة وظالمة، هي ليست عادلة وهذا ليس كلاماً مزيفاً؛ لأن الله هو من كتب كل شيء،
وفرض على الإنسان القناعة والرضا لحكمة غيبية جعلت كل موقف يحدث، وكل أحد ينطق
بكلمة، وكل مشهد، وكل لوحة، وكل صوت يمر بك.. فكيف لأي شيء يكون في الماضي أن
يعيقك،
وحياتك الماضية كفيلة أن تعيد شعورك لكنك ترفض، فلماذا؟! هل تساءل أحدكم لماذا؟! لأنك
أدركت كل شيء، وعرفت الأشياء
على حقيقتها، لأنك وعيت وتوعيت، ولأنك نضجت، لأنك أصبحت أقوى من ذي قبل، لأنك
أصبحت قادراً على المواجهة والتحمل..
الآن، يجب أن تعلم بأن الماضي المؤلم كان مجرد درس لتقويتك، فوعيك هو الذي يقودك."

الحياة ليست عادلة بل هي مؤلمة وظالمة،
هي ليست عادلة وهذا ليس كلاماً مزيفاً؛
لأن الله هو من كتب كل شيء، وفرض على
الإنسان القناعة والرضا لحكمة غيبية جعلت كل موقف
يحدث، وكل أحد ينطق بكلمة، وكل مشهد، وكل لوحة،
وكل صوت يمر بك.. فكيف لأي شيء يكون في الماضي
أن يعيقك،
وحياتك الماضية كفيلة أن تعيد شعورك لكنك ترفض،
فلماذا؟!!

هل تساءل أحدكم لماذا؟!
لأنك أدركت كل شيء، وعرفت الأشياء على حقيقتها،
لأنك وعيت وتوعيت، ولأنك نضجت، لأنك أصبحت
أقوى من ذي قبل، لأنك أصبحت قادراً
على المواجهة والتحمل.. الآن،
يجب أن تعلم بأن الماضي المؤلم كان
مجرد درس لتقويتك، فوعيك هو الذي يقودك."

"تذكر دائماً كلما اشتد عليك البلاء وانهاالت المصائب،
أنك بحاجة لوعي وإدراك وقوة؛ لذا يجب أن تقاوم
من أجل أن تصبح ذا شأن .. وربما من أجل نفسك .
فليس كل من يتكلم ثرثاراً، فبعضهم يحاول الوصول
إلى شيء في الكلام ..

وربما يحاول الفضفضة بطريقة أو بأخرى .
وليس كل من سقط كُسر ، فبعض السقوط وقوف،
وبعض السقوط قوة، فالسقوط لله قوة وعز !
وربما سقط لأنه لم يجد سنداً . وليس كل صامت مغروراً، فربما صمت لأنه لم
يجد من يفهمه،

وربما لأنه لا يريد البوح . وليس كل من جلس وحده منعزلاً،
فربما يفكر بأشياء أوعى من الجماعة أو من
أجل راحة باله؛ وليس وليس .. وليس كل
من ينفي صادقاً، فربما بنفيه أخفى الكثير "...

الأمر أشبه بحالي وحالك حين تُسأل عن الحال فنقول:

نحن بخير، ونحن في الحقيقة

لم نذق طعم الخير منذ أن ولدنا.. أدركت ما أقوله؟

نحن لا نعيش في عالم مزيف فحسب،

بل وسط بشر مزيفين؛ لأننا ندعي الخير والفضيلة

ونحن غارقون في لجة الشر،

فهل أدرك أحدكم صحة ما أقول؟!!

لقد أدركت ذلك بعد طول ادعائي للخير وارتدائي للشر؛

أقول، وتكول، ونقول جميعاً: نحن بخير،

لكن التعب قد ارتدانا واكتسى بنا..

ومن منا لا يرى أن ارتداء التعب بات كارتداء الملابس تماماً؟!!

هذا ليس مجرد ادعاء، بل هي محاولة مستميتة لكون بخير؛

حاولنا رغم أننا متعبون وهزيلون، حاولنا أن نكون بخير واستطعنا،

لكنه ظل مظهراً زائفاً فحسب..

مجرد قشرة في المظاهر والادعاء! لقد ادعينا أننا بخير،

فلماذا لا نكون كذلك حقاً؟

ولماذا يصير الشر أن يكون دوماً رفيق دربنا؟!!

إن كل أشكال الأذى، والشر، والأسى، والحسد، والحقد،

تأتي لتسلك نفس الطريق الذي أسير فيه؛ كأنها تتشبث بي،

تلاحق خطاي، وتتمسك بكل ما فيها من قسوة..

وكلها أذى محصن، فلماذا يا ترى؟!!"

جَرَّب أن تخسر شيئاً، حتى وإن فشلت في دراستك،
أو في أعمالك، أو في تحقيق هدف أو حلم؛
فهذه ليست خسارة، بل هي محاولة،
فالنجاح يأتي بعد المحاولات المستمرة.
والفشل أيضاً يعلمنا؛ وهل تساءل أحداً ما سبب الفشل؟!
هناك عاملان مسببان للفشل لا ثالث لهما؛
الأول هو عدم العمل؛ أي أنك تحلم وتطمح دون سعي،
دون عمل ودون جهد، وهنا ستكون خاسراً.
أما العامل الثاني فهو الخوف من المحاولة؛
الخوف من خوض المعركة، وهذا ما يجعلك تشعر بلحظة
خوف ومن ثم يأتي الفشل.

٥

نحن البشر بطبيعتنا نخشى الخوف والتأثر،
حتى وإن لم نتحدث وننكر ذلك،

٥

ويجب ألا يشعر الإنسان بلحظة خوف؛
لأنه متى ما شعر بالخوف فسيستشعر الحذر.

لذا فالشعور بالخوف ليس سلبياً؛
لأنه يجعلنا نحذر ومن ثم نفوز،
ء

ولا تنتظر في الجانب السيء إطلاقاً،
بل انظر إلى الإيجابيات. لكثرة الأشياء التي تجعلك
أكثر ذكاءً وحكمة، فبعض الأمور تسير على ما يرام كما كتبها الله لك
لا كما تريد أنت؛ ومن ثم ماذا؟
ء

آمن ثم ادرك كل شيء؛ ادرك واحذر وسر،
وتابع وانتظر ما سيأتيك، فالله لن يضيع تعبك
ولا سهرك ومثابرتك واجتهادك؛ فالصدق مع الله ينجيك
من ظلمات لا تدركها.. وتظن أنك نجوت للحظة،
وأنت اجتزت المرحلة الصعبة، وأنت أوشكت على الوصول وأنت تخطّيت.. كلُّ هو مجرد
شعور،

حين ترى بأَم عينيك، هنا أدرك ما يحدث،
هنا صَفَّق لنفسك صفقة بطولة على قدر تعبك وألمك،
هنا ارفع القبعة
واصرخ: (اجتزت بعد محاولات كثيرة، بعد الفشل،
بعد ألم وعناء، سأصل، سأصل، فقط أكمل حتى وإن فشلت؛
اجعلها محاولة! فالنجاح العظيم يأتي بعد فشل وعناء، لا تيأس واصل)."

ومن أجل إيمانك.. دع الأمور تسير كما أمرت،
دع كل شيء يجري كما يجب وسلّم نفسك لربك؛
فلا شيء يجري إلا بأمره، وقُل كَأنا قال أشرف الخلق:
إني سلمت لك أمري ونفسي يا الله،
فأنت أرحم بنا من أنفسنا. لذا استسلم أمام الله
وما كُتِب لك؛ فالله يعلم ما في قلوبنا
ويعلم ما تخفيه صدورنا..
ورغم كل الظروف التي تؤلمنا بحدوثها،
لكننا مؤمنون ولكننا شاكرون، لكني يا الله بحاجتك؛
أرجو أن تتولاني، وترتبني، وترحم ضعفي وتوجهني،
فأنت رحيم يا الله."

دع الأمور تسير كما تريد، لكنك وصلت لمرحلة
يصعب وصفها؛ مرحلة اللامبالاة،
مرحلة التخلي والعزلة. واليوم من شدة ما
حدث ومن شدة قسوته على قلوبنا،
اتفقنا أن الصمت بعمر يتطلب به أن نبوح ونتكلم.
اليوم في هذا العالم أصبح صاحب العمر الصغير يحمل عبء
والأماً وأحزاناً وأشياء تفوق عمره،
لا اعتراض على أن الإنسان يجب أن يمتحن
ويُصَف ليَتَعَلَّم،
لكن ليس هذا ما يحدث الآن في هذا الزمان!
ومع جميع الخلق، إن الأهالي يحملون
أبناءهم أشياء لا ذنب لهم بها، فكيف ذلك؟!
اليوم الأبناء المراهقون والأبناء القاصرون
يُجبرون على الرحيل والتهجير والتغرب
من أجل جلب المال والطعام لأهاليهم؛
فلماذا كل منا يسأل عن نفسه؟! لذا
كل منا مسؤول عن نفسه، لا داعي للشكات،
نتظاهر بأننا نعيش حياة أسرية سليمة وسعيدة لكن هذا شيء يستحال حدوثه."

لذا نحن جميعاً أشخاص طيبون لكن ليس خالين من العيوب،
فجميعنا ظلمنا وظلمنا؛
سواء كان على قصد أو غير قصد.
ذلك جميعنا تألمنا ومررنا بمرحلة اليأس،
وما حدث كله قدر كُتب
وحدث ونحن مجرد تجربة لهذه الحياة؛ لذا لا داعي للحزن،
فنحن لم نُخلق للفرح..
حياتنا أشبه بحقل تجارب ضم كل شيء.

هناك أشخاص سعدوا منذ أن خُلِقوا،
وهناك أشخاص لا تعلم ما هو الفرح،
وأنا أضم نفسي إلى تلك الفئة، لا أعترض لكني
أعترف بأنني أصبحت لا أبالي؛
لم أسعد حتى وإن سعدت يأتي شيء
وينزع أفراح حياتي وتتحول من نار الفرح إلى
رماد الحزن.. لا بأس، لا بأس ما زال في داخلي شيء
من الأمل لكنه أصغر من الذرة حجماً،
وأكبر من هذا العالم رضى..
الحمد لله مهما اشتد بنا الألم."

ليس مشكلتنا بالقضاء والقدر، لكن بناس كانت
أقرب إلينا من أنفسنا؛ وهل يعقل أن تحب أحداً أكثر من نفسك؟!
لكني أحببت الجميع وقدرت الجميع واتخذت الجميع أهلاً، وجعلت
قلبي داراً، لكن الجميع كان سبب ألمي وحزني وكسري وضعفي؛
جميع من قدرتهم أهملوا، ومن أحببتهم ابتعدوا، ومن سألت عنهم
تجاهلوا.. قلبي اليوم مدمر، قلبي مدمر،
لكنه يستطيع بناءه من جديد وإعادته إلى ما كان عليه، لست مثل
الأمس ولست على ما يرام.. لست بخير، أنا لست بخير بكل ما أوتيت
لم أعد كما كنت؛ لماذا كل هذا التغير؟!
لماذا كل هذه الأشياء تحدث؟!
اليوم أنا تغيرت لكني لم أعجب وأرضى بذلك التغير،
بل لست راضية لأنني أصبحت إنسانية لا أشبه نفسي أبداً..
أنا لست أنا، أنا لست على ما يرام ولست بخير."

أصبحتُ أنعزل بعد الاجتماعية المفرطة، وأصبحتُ عديمة الثقة. إلى حدٍّ لا أستطيع وصفه،
وأصبحتُ أشك في كل أحد دون أي دلالة.
وأصبحتُ أصدق كل شيء يقال، رغم أن هناك أشخاصاً قسماً بأن
البراءة على وجوههم واضحة
، لا أستمع لأحد وقحة إلى حد لا يُستطاع تحديده،
عديمة المشاعر لست بريئة،
حاقدة، كارهة، لا مبالية مفرطة لست مهتمة بشيء أبداً.
صامتة في كل الأوقات وفي كل الأماكن ومع الجميع.
الأشخاص لست على ما يرام، متعبة من كل شيء،
مرهقة لا شيء يثيرني، أصبحتُ أمّاً صامتة دوماً أو أثير دوماً.
أنا لستُ أنا، لستُ أنا من جعل تلك الأشياء فيني،
بل الحياة وبل فظاعة الناس ومن حولي،
من كثر الضغوطات والاضطرابات والأشياء
التي لا ذنب لي بها، حدثت ومن ثم حدثت تلك التغيرات
وأصبحتُ على هذا الحال دون مراعاة مشاعري ومشاعر أي أحد.

لا سامح الله كل من كان سبب تلك التغيرات وتبدلي من حال إلى حال يصعب على الأموات تحمله، لست فتاة الأحلام أنا، أنا فتاة التجارب أنا من شقيقت ومزقت كل ستار رغم الظلام الكامل، أنا من تحدثت حتى أني في أغلب تحدياتي لم أحقق نجاحاً لكني تحدت واستطعت أن أقول استطعت.

في قلبي أما جسدي ليس بحاجة إلى تعب فوق تعب، لكن لم أستمع لأحد حاولت رغم الفشل حاولت رغم الألم.

حاولت ورغم الوحدة لا أحد كان معي وإلى الآن لا يوجد سند، إلا أنا، التعب والإرهاق واضح تماماً على وجنتي وجسدي وعيني اللامعتان السوداويتان اللتان لم يريا الفرح، الفرح يتلعثم عن الحزن الذي أخفيه بكل وضوح لكني لم أسمح لهن بذلك ابتسمت.

في الوقت الذي كان قلبي يبكي به وعيني يشتكيان، ألمهما لكني صمدت ووقفت وأنا أرتدي ثوب السعادة المزيف

في قلب أبيض كبياض قلوب الأنبياء قد اجتمع فيه
خذلان وألم وأحزان ووحدّة، تلك الأشياء المخفية
قد اجتمعت في قلب أنثى. وما الأنثى إلا لين ورقة ورحمة وطيبة،
ومهما كانت الأنثى سيئة لا بد من لين وطيبة في قلبها، لكن حين
يسكن الجنود قلبها يدمر قلبها دون رحمة، جنود الحزن جنود الألم
جنود الخوف والقلق،
وقد سميتها جنوداً من شدة قسوتها.
تلك الأشياء على قلبها تجعلها تبكي تتألم تقهر تشعر
بالوحدة، كل هذه المشاعر المبعثرة تهاجمنا دون سبب دون وقت
معين، دون أي مقدمات ودون أي شيء،
ستبقى تلك الأشياء تعبث بداخلي،
أم أنها ستنتهي بتدخل شيء ما؟

ما يجعلك تزداد ألماً وخوفاً وحزناً أن المقربين هم من
يجعلوك تشعر بالألم من شدة قسوة كلامهم،
هم مقربون، لكنهم يؤذون، زُعِنَ (أُشِيعَ)
آخر معلومة قرأتها وسمعتها أن الأقارب سند،
لكني أيقنت أنهم سد وسداد لـ لا شيء، يُقَتَّلُ بهم عذر،
أليس جميع الأقارب لكن الأكثر شيوعاً، كيف بأهل بيتك، كيف
بوالديك كيف بأخوتك إذ آذوك بكلامهم، كيف لك أن تتحمل لكني لا
أمتلك أختاً يتيمة الأخت يا قلب،
لم أكن بخير ولم أشعر بخير لمرة واحدة طوال حياتي، لماذا؟
أكن لنفسك كل شيء فقسماً قسماً لا أحد يهتم لأحد
ولا أحد يشعر بأحد ولا أحد يتقبل أحداً، إن كنت
غنياً وتمتلك أشياء مثيرة لن
تتخلى عن مصادقة الجميع وحب الجميع المزيف،
حب المصالح والشهوات،
لكني اخترت أن أكون أفضل من ذلك فابتعدت.

لستُ الأفضل في كل شيء، لكنني غنية عن حب المصالح.
لستُ بحاجة إلى أشخاص مزيفين،
يكفيني أنني أعيش وسط عائلة مزيفة، عائلة لست
متماسكة معها،
وإن تماسكت تركوني وحدي.
ادعاء على أنني غثاء؛ لن أكون بينهم،
لذا يصاب الإنسان بعزلة ويشعر كأنه وسط ديمومة،
وسط دوامة ووسط غيوب.
وكأنه من الأموات، وليس الموت جسد فقط بل هو
موت الروح، موت المشاعر، لكن ليس مشاعري حية،
أنا ومشاعري أموات بين القبور جلاس، بقت طيبتني
ووحدتي وصفاء نيتي تعبت في أرجاء الحياة مع
جميع البشر تلى أن نُزَعن ومُزَقن وتشتتن
وأصبحتُ بلا قلب، فكيف أمتلك مشاعر؟
كيف لقلب أشبه بالرسول، أن يُكسر
ويُخذل ويتمزق ويتلوث بأحزان
وَألم وأشياء مخيفة تشبهها، كيف؟

كل يوم وكل لحظة وكل دقيقة وكل موقف وكل تصرف وكل ذكرى
مؤلمة قد خُزِنَتْ في مكتبة الأحلام، لقد أقسم الجميع أن كل شيء مؤلم
سنعيده إلى من كان سبباً لكن.....

مجرد كلام ليس لأننا لا نستطيع بل لأننا نخاف
أن نخدش قلب أحد، قلوبنا أرق من أن تجرح فجرحت،
وأرق من أن تُخدش وخُدت، وأرق من أن تنام باكية،
لأننا تذوقنا كل طعم مر ومالح وحامض من الألم
كمن يتذوق قطعة حلوى.

لذا لا تسمح لنا قلوبنا الجريحة بإيذاء أحد مهما كان مؤذياً،
من منظوري أنا أرى أن كل شخص مؤذٍ يسبب أذىً هو نتيجة لنقص
في ذاته وغيره من جانب آخر،
وربما أنه مارس الأشياء التي شاهدها في صغره،
في طفولته ربما كانت طفولته مخيفة ومؤذية.

ومن مسببات الأذى أيضاً، أن يُحرم المرء من أبسط حقوقه، ويُعزل عن رفاقه.
ومن الأخطاء الفادحة أن يحبس الآباء أبناءهم داخل غرف ضيقة ومحددة، وهذا بالتأكيد ليس أسلوباً تربوياً قوياً،
بل إن العزلة والمخالطة الاجتماعية هما أساس التربية؛ ولا أعني هنا الاجتماعية المفرطة،
بل تلك المبنية على مخالطة الأشخاص الصالحين والمشابهين لنا في الفكر والروح.
لذا، وبحسب رؤيتي، فإن الأهل يتبعون ثلاثة أساليب في التربية، أولها وأشدّها تأثيراً وقسوة هو "الضرب الدائم"؛ إذ يُضرب الطفل إن أخطأ، ويُضرب إن ناقش، بل ويُضرب حتى وإن كان على صواب! وهذا الفعل يترك أثراً سلبياً غائراً على الطفل، وحتى على الإنسان البالغ مستقبلاً.
أما الأسلوب الثاني، فهو "العزلة"؛ وهي طريقة مكروهة حتى في ديننا الإسلامي الحنيف، لأنها تبعد الإنسان عن العلم والعلماء. إن جعل طفلك محصوراً في غرفة معينة أو داخل بيت مغلق خوفاً عليه من أي مكروه، هو بمثابة سجن له؛ لذا اجعل ابنك أو ابنتك – أو حتى نفسك – حراً طليقاً.

وحتى إن كنت لا تفضل المخالطة، فكن من عشاق الطبيعة،
أو القراءة، أو الرسم. اشغل نفسك دائماً بأشياء
تحبها ولا تستسلم للجلوس طوال اليوم بمفردك دون غاية،
لأن الفراغ سيجعلك تزداد تفكيراً،
وربما ينعكس ذلك سلباً على صحتك الجسدية والنفسية.
أما الأسلوب الثالث، والأكثر شيوعاً في هذا الزمان،
فهو أن تجعل ابنك يعمل في سن صغيرة،
ليحمل مسؤولية تفوق عمره! في حين أن المفترض
به أن يركض في شوارع الحي يلعب ويمرح،
ويملاً الدنيا بصوته الفرح.
لكن مع الأسف، أصبحت قلوب بعض الأهالي في
هذا العصر قاسية؛ لم يحموا أبناءهم، ولم يتركوهم يخرجون
من المنازل بأمان ليتحملوا مسؤولية تناسبهم،
بل منعوهم من الحياة. وحتى إذا عمل هؤلاء الأطفال
ولم يجلبوا المال الكافي، يُضربون ضرباً مبرحاً وقاسياً!
لماذا وصلنا إلى هنا؟ لأن بعض الآباء في هذا الزمان
تحولوا إلى ما يشبه العصابات التي لا تبحث إلا عن جني المال،
وضحايا هذه العصابات هم الأبناء.

عذراً على هذا التشبيه، لكنه الواقع المرير الذي لا
يمكنني إنكاره. لقد كنتُ واحدة من أصحاب
تلك الحالات الثلاث، وبهذه القسوة عُوِّمْتُ، ولكني حين كبرت
وتغيرتُ،
لم أعد أَرْضَى بتلك المعاملة.
وحين اعترضتُ، ثاروا بوجهي وكأني كفرت،
أو كأنني خرجتُ من عالم الإسلام إلى عالم الجهل والظلام!
تعجبتُ وتساءلت: لماذا يصل الأهل إلى هذه الدرجة من التعقيد؟
كلامهم بات غير منطقي، وغير مفهوم،
تحكمه عادات سيئة بالية.
تباً لقوم لم يعرفوا قيمة أبنائهم!
وحين قرأ أحدهم كلماتي قال مستنكراً: "
كيف تجرئين على قول ذلك؟".
إنها الحقيقة فحسب؛ الحقيقة التي
يرفض البشر تصديقها وإدراكها، إما خوفاً منها،
أو لأنهم اعتادوا عليها.

إن مكتبة الأحلام ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتربيتك؛
فلم يكن حديثي عبثاً عن العائلة والتربية،
إذ كيف لك أن تبلغ حلمك والخوف يعيش في زوايا قلبك؟
كيف لك أن تخوض المعارك وأنت تُسأل مستنكراً: "
كيف لك أن تعترض؟!".

وحتى إن لم تجد أهلاً يدعمونك،
فكن أنت السند لنفسك؛ ورغم أن هذا الخيار
يبدو صعباً للغاية، إلا أنه سيهبك قوة مضاعفة أقسم لك عليها.
ليس سهلاً أبداً أن تمضي في هذه الحياة وحيداً،
ولكن افعل ذلك من أجل ذاتك.
لقد سئمنا وتعبنا من تلك العبارات الزائفة التي تُقال لنا: "
صارع لتصل إلى أحلامك". لقد مللنا حقاً من سماع:
"أنت قوي"، فما أنا بقوي، ولست قادراً على الاحتمال أكثر..
كل ما أريده الآن هو الرحيل فحسب.

تجاهلي ما يؤلمك، وتظاهري بالثبات؛
فالحقيقة المرّة أن ما يؤلمني حقاً..
هو أنني مُجبرة على هذا التجاهل الكاذب.

كُن لنفسك كل شيء،
ولا تنتظر سداً من أحد؛
فلأسف، الحقيقة التي تجرعتها هي..
أن لا شيء يمت لي بصلة، ولا أحد يشعر بي.

كُن صامتاً متفرداً، وأتقن فن الغياب؛
فماذا لو كان هذا الصمت المطبق لا يشبهني،
لكنه الملاذ الوحيد المتبقي لي لكيلا أنكسر؟

تَيَقَّن تماماً أن جميع الذين بلغوا غاياتهم،
واعتلوا عرش أحلامهم في زمن قياسي،
لم يفعلوا ذلك بجهدهم المفرد؛ بل إنهم -
بعد توفيق الله- سَخَّرَت لهم كل أسباب التمكين،
وَأُتِيحت بين أيديهم كل مقومات النجاح.
لقد وجدوا السند الذي يقي عثراتهم،
والحنان الذي يضمّد جراحهم، والحب النقي الذي
يمدّهم بالقوة، والدعم والتشجيع المستمر
من أسرة دافئة تحتويهم،
ناهيك عن وفرة المال التي تذلل صِعب الطريق..
هكذا ببساطة، حتى أحلامهم الصغيرة
المنسية غدت حقيقة تبتسم بين أيديهم.

وكل إنسان يمضي في هذه الحياة وحيداً،
يسعى نحو حلمه دون حبّ يحتويه،
ودون حنان يضمد جراحه، أو تشجيع
ودعم يسند خطاه.
يسير مجرداً من الثقة،
ومحروماً من المال الذي يمهد له الصعاب؛
لذا، لن يشعر هذا الساعي بأي سعادة أثناء كفاحه وعمله،
فكيف يذوق طعم الفرح
وهو يفتقد كل الأسس الرئيسية
والمقومات الأساسية لتحقيق تلك الأحلام؟

رسالتي الأخيرة إليك: هيا، آن الأوان لتواصل
السعي نحو حلمك، مدفوعاً بأشياءك المميزة وشغفك المتقد،
حتى وإن لم تجد أحداً يشد على يدك
ويقول لك: "أنت قادر".
قلها لنفسك بثقة: "أنا قادر"، وامض في طريقك؛
فلا أحد يدوم لأحد، ولن يبقى لك في نهاية المطاف
إلا عملك، ولن يشفع لك أمام الحياة إلا كفاحك.
لكن حذار أن تُحمّل نفسك فوق طاقتها،
ولا ترهق عقلك بكثرة التفكير،
أو بالانشغال بأمور تتمنى لو أنك بلغتها؛
تيقّن تماماً أنه بعد كل فشل ذريع،
تولد قصة نجاح عظيمة يخبئها الله لك،
فكن على يقين مطلق بذلك.
وأنا أقولها لك الآن: لكل شخص يتوق إلى الكمال والتطور،
بالعلم والعمل وحدهما أنت قادر..
نعم أنت قادر،
فقط استمر ولا تتوقف.

ومن هنا.. سقطت الأحلام.
دعني أتحدث قليلاً، فمنذ زمن طويل وأنا أرى ألوان هذا الكون كئيبة
وباهتة، لكن، ماذا حدث بعد ذلك؟
لقد حدث كل شيء إلا الأحلام!
غابت تلك الأحلام وتلاشت، لكني لم أستسلم؛
لقد فشلتُ وسأكمل طريقي رغماً عن كل شيء.
هذه هي الرواية الأولى عن أول كتاب أكتبه بعد
وصولي إلى النهاية؛
نهايةً أدركتُ معها أنها ليست سوى بداية جديدة.
هكذا هي الأحلام أيها البشر، فما غاب منها سيعود بشكل آخر..
كتبتها وداخلي ينزف وجعاً،
لكني في النهاية.. مطمئنة.

وعن أحد الأحلام...
دعني أتكلم قليلاً
منذ زمان طويل وأنا أحلم أن أكون كاتبة..
لكن ماذا حدث...؟
حدث كل شيء إلا الأحلام..
بقيت أحلام...
لكني لم أستسلم...
أكملت وسأكمل...
عن أول رواية عن أول كتاب كتبته وعند وصولي إلى نهايته
الكتاب، أدركت أنها نهاية لكن لبداية جديدة،
هكذا هي الأحلام أيها البشر...
قسماً بأنني كتبتها..
كتبتها وأنا ملي تنزف وجعاً..
لكني فعلتها..

الظروف وجدت من أجل أن تخلق منك إنساناً قوياً
لا تظن أنك خسرت أو فشلت يوماً ما...
ستصبح ما تريد
وسأكون كما أريد.

من قلم الأحلام قد ُكتبت...

إلى كل قارئ احتضن كلماتي، وتلمس جراحي بين السطور، وعبر
معي من ظلمة الانكسار إلى نور الصلابة..
شكراً لأنك كنت جزءاً من هذه الرحلة النفسية الأولى.
هذه الرواية لم تكن مجرد حبرٍ على ورق، بل كانت شظايا من
صراعات عبرتها وعبرتموها، صراعات المراهقة،
والبحث عن الذات، والوقوف في وجه العواصف.
أتمنى أن تكون هذه الصفحات قد تركت في قلوبكم بصيصاً من
الأمل، وتذكيراً دائماً بأن الظروف مهما قست،
فإنها لا تأتي إلا لتخلق منا نفوساً أشد قوة ونقاءً.
إلى نصوص وأحلام وروايات أخرى تجمعنا..
دمتم بخير، ودامت أحلامكم حرة طليقة.
انتهت بحمد الله



بعض الجدران لا تُبنى من حجارة ..
بل من أسرار دفنتها الأرواح
ومع كل خطوة تقترب من الحقيقة
تزداد الجمجمة عمقا .. وتتكلم الجدران.

